أليس فى بلاد الأعاجيب

Alice in the Wonderland

٣ — عودة الأرنب

وَبَقِيَتْ أَلِيسُ وَحِيدَةً تَتَأَلَّمُ لِحَالِهَا، وَإِذَا بِهَا تَسْمَعُ وَقْعَ أَقْدَامٍ، فَالْتَفَتَتْ فَرَأَتِ الْأَرْنَبَ يَسِيرُ بِبُطْءٍ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ بِانْتِبَاهٍ كَمَنْ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ فَقَدَهُ. ثُمَّ سَمِعَتْهُ يُحَادِثُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: «وَيْلِي مِنَ الْأَمِيرَةِ! إِنَّهَا سَتَشْنُقُنِي وَلَا شَكَّ. وَاحَسْرَتَاهُ عَلَى فَرْوِ النَّاعِمِ وَشَوَارِبِي الْجَمِيلَةِ وَمَخَالِبِي الْحَادَّةِ!! أَيْنَ يَا تُرَى سَقَطَتْ مِنِّي؟» وَأَدْرَكَتْ أَلِيسُ أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنِ الْمِرْوَحَةِ الَّتِي سَقَطَتْ مِنْهُ وَالْتَقَطَتْهَا. فَأَشْفَقَتْ عَلَيْهِ، وَأَخَذَتْ تُسَاعِدُهُ فِي الْبَحْثِ عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعْثُرْ لَهَا عَلَى أَثَرٍ.

وأخذت تكبر حتى مس رأسها السقف.

وَلَاحَظَ الْأَرْنَبُ أَنَّ أَلِيسَ تُسَاعِدُهُ فِي الْبَحْثِ، فَنَادَاهَا قَائِلًا: «يَا مَارِي! مَاذَا تَصْنَعِينَ هُنَا؟ اُجْرِي إِلَى الْمَنْزِلِ وَأَحْضِرِي لِي مِرْوَحَةً أُخْرَى وَقُفَّازًا. أَلَمْ تَسْمَعِي؟ هَيَّا أَسْرِعِي!» وَجَرَتْ أَلِيسُ خَائِفَةً مَذْعُورَةً، وَقَدْ فَطِنَتْ إِلَى أَنَّهُ ظَنَّهَا خَادِمَهُ لِصِغَرِ جِسْمِهَا، فَكَانَتْ تَقُولُ لِنَفْسِهَا وَهِيَ تَجْرِي: «أَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْأَرَانِبِ تَأْمُرُنِي وَتَنْهَرُنِي!!» وَاسْتَمَرَّتْ فِي جَرْيِهَا حَتَّى وَجَدَتْ بَابًا عَلَيْهِ لَوْحٌ نُحَاسِيٌّ مَحْفُورٌ عَلَيْهِ (سَلِيم أَرْنَبُ) فَدَخَلَتْهُ وَصَعِدَتْ فِي السُّلَّمِ، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ نَظِيفَةٍ، فَدَخَلَتْهَا وَوَجَدَتْ فِيهَا مِنْضَدَةً صَغِيرَةً بِجَانِبِ النَّافِذَةِ، عَلَيْهَا مِرْوَحَةٌ وَبِضْعَةُ قُفَّازَاتٍ مِنَ الْجِلْدِ الْأَبْيَضِ النَّاصِعِ فَأَخَذَتْ زَوْجًا مِنْهَا، وَالْتَقَطَتِ الْمِرْوَحَةَ، وَهَمَّتْ بِالْعَوْدَةِ، وَلَكِنَّهَا رَأَتْ زُجَاجَةً صَغِيرَةً بِجِوَارِ الْمِرْآةِ، فَتَنَاوَلَتْهَا وَتَأَمَّلَتْهَا عَلَّهَا تَجِدُ مَكْتُوبًا عَلَيْهَا (اشْرَبِينِي) كَالْعَادَةِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ عَلَيْهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «حَسَنًا! إِنِّي كُلَّمَا أَكَلْتُ أَوْ شَرِبْتُ شَيْئًا تَغَيَّرَ حَجْمُ جِسْمِي، فَأَصْغُرُ مَرَّةً وَأَكْبَرُ أُخْرَى، فَلْأُجَرِّبْ هَذِهِ الزُّجَاجَةَ لَعَلِّي أَكْبَرُ فِيهَا بِنَى الْأَرْنَبُ» وَشَرِبَتْ أَلِيسُ مَا فِي الزُّجَاجَةِ، وَإِذَا بِهَا تَكْبَرُ

فُجَاءَةً حَتَّى مَسَّ رَأْسُهَا السَّقْفَ ، فَانْحَنَتْ حَتَّى لَا تَنْكَسِرَ رَقَبَتُهَا ، وَهِيَ تَصْرُخُ : « كَفَى ! كَفَى ! ! يَا لَيْتَنِي مَا شَرِبْتُ كُلَّ هٰذَا » . وَلٰكِنَّهَا اسْتَمَرَّتْ تَكْبَرُ حَتَّى اضْطُرَّتْ إِلَى الرُّكُوعِ ، ثُمَّ إِلَى الرُّقَادِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَكْبَرُ وَتَكْبَرُ ، حَتَّى ضَاقَتْ بِهَا الْحُجْرَةُ ، فَأَخْرَجَتْ ذِرَاعَهَا مِنَ النَّافِذَةِ ، وَرَفَعَتْ سَاقَهَا وَأَدْخَلَتْ قَدَمَهَا فِي الْمِدْخَنَةِ .

وَهُنَا كَانَ قَدْ تَمَّ مَفْعُولُ الشَّرَابِ ، فَوَقَفَ نُمُوُّهَا لِحُسْنِ الْحَظِّ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ أَصْبَحَتْ مَحْشُورَةً فِي الْحُجْرَةِ تَسْتَحِيلُ عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ ، وَظَنَّتْ أَنَّهَا سَتَبْقَى هٰكَذَا حَتَّى تَمُوتَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْيَأْسُ . ثُمَّ سَمِعَتْ صَوْتَ الْأَرْنَبِ يُنَادِيهَا : « يَا مَارِي ! أَيْنَ أَنْتِ ؟ لِمَاذَا لَمْ تُحْضِرِي الْمِرْوَحَةَ وَالْقُفَّازَ » . ثُمَّ سَمِعَتْ وَقْعَ أَقْدَامِهِ وَهُوَ يَصْعَدُ فِي السُّلَّمِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْبَابِ ، وَأَخَذَ يَدْفَعُهُ ، مُحَاوِلًا فَتْحَهُ . فَلَمْ يَسْتَطِعْ ، لِأَنَّ مِرْفَقَهَا كَانَ مُسْتَنِدًا إِلَى الْبَابِ مِنَ الدَّاخِلِ . وَحِينَئِذٍ سَمِعَتْهُ يَقُولُ : « أَتَمْنَعِينَنِي مِنَ الدُّخُولِ يَا مَارِي ؟ إِذَنْ سَأَدْخُلُ لَكِ مِنَ النَّافِذَةِ . وَسَتَرَيْنَ مَاذَا أَصْنَعُ بِكِ ! » وَاغْتَاظَتْ أَلِيسُ مِنْ تَهْدِيدِهِ ، فَانْتَظَرَتْهُ حَتَّى صَارَ تَحْتَ النَّافِذَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ يَدِهَا ، فَمَدَّتْهَا فُجَاءَةً ، وَطَوَّحَتْهَا فِي الْهَوَاءِ بِشِدَّةٍ ، تُرِيدُ إِمْسَاكَهُ ، فَإِذَا بِهَا تَسْمَعُ الْأَرْنَبَ يَصْرُخُ ، وَشَيْئًا يَتَكَسَّرُ كَالزُّجَاجِ فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « حَسَنًا ! أَظُنُّهُ قَدْ سَقَطَ فِي بَيْتِ الزُّجَاجِ الَّذِي فِي الْحَدِيقَةِ . » ثُمَّ سَمِعَتْهُ بَعْدَ ذٰلِكَ يُنَادِي : « بَاتْ ! يَا بَاتْ ! أَيْنَ أَنْتَ ؟ » وَسَمِعَتْ آخَرَ يَرُدُّ عَلَيْهِ قَائِلًا :

« هَأَنَذَا يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ »

الْأَرْنَبُ : « أَسْرِعْ إِلَيَّ ، وَأَخْبِرْنِي ، مَا هٰذَا الَّذِي تَرَاهُ فِي النَّافِذَةِ ؟ »

مدت يدها وطوحتها فى الهواء بشدة

بَاتْ : « هٰذَا ذِرَاعٌ وَلَا شَكَّ يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ »

الْأَرْنَبُ : « ذِرَاعٌ يَا سَادَجُ ! مَتَى كَانَتِ الذِّرَاعُ كَبِيرَةً هٰكَذَا ! إِنَّهُ يَمْلَأُ النَّافِذَةَ كُلَّهَا ! ! »

بَاتْ : « نَعَمْ يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ ، إِنَّهُ يَمْلَأُ النَّافِذَةَ . وَلٰكِنَّهُ ذِرَاعٌ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ »

الْأَرْنَبُ : « ذِرَاعٌ أَوْ غَيْرُ ذِرَاعٍ ، لَا أُرِيدُهُ فِي نَافِذَتِي . فَاذْهَبْ وَانْزَعْهُ »

بَاتْ : « وَلٰكِنِّي يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ لَا أَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ ! »

ٱلْأَرْنَبُ : « ٱذْهَبْ وَٱفْعَلْ مَا آمُرُكَ بِهِ يَا جَبَانُ ! »

وَعِنْدَ ذٰلِكَ شَعَرَتْ أَلِيسُ بِحَرَكَةٍ تَحْتَ يَدِهَا ، فَبَسَطَتْهَا وَهَزَّتْهَا بِشِدَّةٍ كَمَا فَعَلَتْ فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلسَّابِقَةِ ، فَسَمِعَتْ صَرْخَتَيْنِ — صَرْخَةَ ٱلْأَرْنَبِ ، وَصَرْخَةَ زَمِيلِهِ — وَصَوْتَ زُجَاجٍ يَتَهَشَّمُ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ تَأْثِيرِ سُقُوطِهِمَا .

وَسَادَ ٱلسُّكُونُ بَعْدَ ذٰلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً ، إِلَى أَنْ سَمِعَتْ أَلِيسُ صَوْتَ مَرَاكِبَ (عَرَبَاتٍ) صَغِيرَةٍ ، تَسِيرُ نَحْوَ ٱلْبَيْتِ ، وَأَصْوَاتًا كَثِيرَةً عَالِيَةً ، وَسَمِعَتِ ٱلْبَعْضَ يَقُولُ : « أَيْنَ ٱلسُّلَّمُ ؟ أَحْضِرِ ٱلسُّلَّمَ ٱلْآخَرَ يَا بِلْ ، وَٱرْبُطِ ٱلِٱثْنَيْنِ مَعًا . » وَسَمِعَتْ آخَرَ يَقُولُ : « ٱلْآنَ ٱصْعَدْ يَا بِلْ إِلَى ٱلْمِدْخَنَةِ . » ثُمَّ سَمِعَتْ هٰذَا يَقُولُ : « لَا ! فَلْيَصْعَدْ غَيْرِي » . وَإِذَا بِٱلْأَرْنَبِ يَأْمُرُ بِلْ بِٱلصُّعُودِ فِي ٱلسُّلَّمِ . فَأَخَذَتْ أَلِيسُ تُحَادِثُ نَفْسَهَا وَتَقُولُ : « مِسْكِينٌ أَنْتَ يَا بِلْ ! إِنِّي أُشْفِقُ عَلَيْكَ ، وَلَوْ أَنِّي لَا أَعْرِفُكَ » . وَمَا أَنْ شَعَرَتْ بِأَنَّ شَيْئًا قَدْ وَصَلَ إِلَى قِمَّةِ ٱلْمِدْخَنَةِ ، وَبَدَأَ يَنْسَلُّ إِلَى دَاخِلِهَا ، حَتَّى دَفَعَتْهُ بِقَدَمِهَا دَفْعَةً شَدِيدَةً قَذَفَتْهُ فِي ٱلْفَضَاءِ يَصْرُخُ وَيُوَلْوِلُ وَحِينَئِذٍ سَمِعَتْ أَلِيسُ أَصْوَاتَ ٱلْحَيَوَانَاتِ وَهِيَ تَجْرِي ، وَٱلْأَرْنَبُ يَقُولُ : « إِذَنْ فَلْنَحْرِقِ ٱلْمَنْزِلَ بِمَا فِيهِ » . فَصَاحَتْ أَلِيسُ : « إِيَّاكُمْ وَحَرْقَ ٱلْمَنْزِلِ ، فَإِنَّكُمْ لَوْ فَعَلْتُمْ ذٰلِكَ لَحَضَرَتْ لَكُمْ قِطِّي دِينَا وَٱنْتَقَمَتْ لِي مِنْكُمْ » فَسَادَ الصَّمْتُ مَرَّةً أُخْرَى .

وَبَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ ، سَمِعَتِ ٱلْأَرْنَبَ يَقُولُ : « تَكْفِي (عَرَبَةٌ) وَاحِدَةٌ » وَتَسَاءَلَتْ أَلِيسُ : « أَيَّ شَيْءٍ يَا تُرَى سَيُحْضِرُونَهُ فِي (ٱلْعَرَبَةِ) ؟ » . وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَنْتَظِرْ طَوِيلًا حَتَّى شَعَرَتْ بِحَصًى صَغِيرٍ يَتَسَاقَطُ عَلَى جِسْمِهَا وَوَجْهِهَا مِنْ خِلَالِ ٱلنَّافِذَةِ ، فَصَاحَتْ : « كُفُّوا عَنْ هٰذَا ! ! »

وَبَيْنَمَا هِيَ تَنْظُرُ حَوْلَهَا ، تَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ لِلْخَلَاصِ وَجَدَتِ ٱلْحَصَى يَتَحَوَّلُ ، وَاحِدَةً بَعْدَ ٱلْأُخْرَى ، إِلَى كَعْكٍ صَغِيرٍ ، فَأَكَلَتْ وَاحِدَةً ، وَإِذَا بِهَا تَصْغُرُ وَتَصْغُرُ حَتَّى عَادَتْ صَغِيرَةً كَمَا كَانَتْ ، فَنَهَضَتْ فَرِحَةً ، وَجَرَتْ مُسْرِعَةً ، وَخَرَجَتْ مِنَ ٱلْبَابِ . وَهُنَاكَ رَأَتِ ٱلْحَيَوَانَاتِ مُجْتَمِعَةً حَوْلَ سَامِّ أَبْرَصَ (بُرْصٍ) صَغِيرٍ ، تُعْطِيهِ دَوَاءً مِنْ زُجَاجَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَأَدْرَكَتْ أَنَّ بِلْ ٱلْمِسْكِينَ ٱلَّذِي رَفَسَتْهُ لَمْ يَكُنْ سِوَى سَامِّ أَبْرَصَ (بُرْص) .

ولم يكن « بل » سوى (برص)

ثُمَّ جَرَتْ أَلِيسُ ، قَبْلَ أَنْ تَتَنَبَّهَ ٱلْحَيَوَانَاتُ لَهَا ، مُتَّجِهَةً نَحْوَ ٱلْغَابَةِ ،

فَقَابَلَهَا فِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ جِرْوُ كَلْبٍ ، فَأُعْجِبَتْ بِشَكْلِهِ الْجَمِيلِ ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ تُرِيدُ مُلَاعَبَتَهُ وَلٰكِنَّهَا خَشِيَتْ أَنْ يَطَأَهَا بِقَدَمِهِ فَيَقْتُلَهَا ، إِذْ خُيِّلَ لَهَا لِصِغَرِهَا أَنَّهُ كَبِيرٌ جِدًّا . ثُمَّ اسْتَأْنَفَتِ الْجَرْيَ ، هَارِبَةً حَزِينَةً ، وَاخْتَفَتْ فِي أَحْضَانِ الْغَابَةِ .

مطـــاوع

بقلم المرحومة السيدة وردة الصدر

كَانَ لِأَرْمِلَةٍ فِي إِحْدَى قُرَى الرِّيفِ طِفْلٌ هَادِئٌ وَدِيعٌ ، شَبَّ عَلَى طَاعَتِهَا . فَبَيْنَمَا كَانَ غَيْرُهُ مِنْ أَطْفَالِ الْجِيرَانِ يَزْعَقُ وَيُزَمْجِرُ وَيَغْضَبُ كَانَ هُوَ لَا يُرَى إِلَّا بَاسِمًا يَأْكُلُ مَا يُقَدَّمُ لَهُ ، وَيَنَامُ عِنْدَمَا يُؤْمَرُ وَيَسْتَحِمُّ مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ . وَكَبِرَ وَتَرَعْرَعَ حَتَّى بَلَغَ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ . وَصَارَ يُعْرَفُ بَيْنَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِاسْمِ «مُطَاوِعٍ» وَكَانَتْ أُمُّهُ رَقِيقَةَ الْحَالِ تَكْسِبُ عَيْشَهَا بِمَا كَانَتْ تَغْزِلُهُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ . وَلَمْ يَكُنْ كَسْبُهَا يَكْفِيهَا وَيَكْفِي مُطَاوِعًا لَمَّا كَبِرَ ، وَزَادَتْ شَهْوَتُهُ لِلطَّعَامِ . فَقَالَتْ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ : « لَقَدْ صَارَ عُمْرُكَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا ، وَيَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ لِكَسْبِ قُوتِكَ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تُبَكِّرَ غَدًا بِالذَّهَابِ إِلَى الْمَزَارِعِ الَّذِي بِجَانِبِ الْقَرْيَةِ ، وَتَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ تَشْتَغِلَ مَعَهُ . فَأَجَابَ مُطَاوِعٌ : « سَأَفْعَلُ يَا أُمِّي . » وَفِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى الْمَزَارِعِ ، فَأَقَامَهُ فِي الْعَمَلِ . وَفِي نِهَايَةِ الْيَوْمِ قَالَ لَهُ : « إِنَّنِي أَسِفٌ يَا بُنَيَّ ، إِذْ لَيْسَ لَكَ دِرَايَةٌ بِالْفِلَاحَةِ ، فَلَا دَاعِيَ لِحُضُورِكَ بَاكِرًا . وَلٰكِنْ بِمَا أَنَّكَ كُنْتَ مُطِيعًا طُولَ الْيَوْمِ فَخُذْ هٰذَا الْقِرْشَ أُجْرَةً لِتَعَبِكَ » . فَشَكَرَهُ مُطَاوِعٌ ، وَتَنَاوَلَ الْقِرْشَ ، وَكَانَ هٰذَا أَوَّلَ أُجْرَةٍ تَنَاوَلَهَا فِي حَيَاتِهِ ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَفْعَلُ بِهِ ، وَجَعَلَ يَلْعَبُ بِهِ وَيُدَحْرِجُهُ عَلَى شَاطِئِ التُّرْعَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي الْمَاءِ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَنْزِلِ أَخْبَرَ أُمَّهُ بِمَا حَدَثَ . فَقَالَتْ لَهُ : « كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ الْقِرْشَ فِي (جَيْبِكَ) . اذْهَبْ بَاكِرًا وَسَاعِدِ الرَّاعِيَ وَلَا تَنْسَ أَنْ تَضَعَ أَجْرَكَ فِي (جَيْبِكَ) . » فَقَالَ مُطَاوِعٌ : « سَأَفْعَلُ يَا أُمِّي . » وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ وَاشْتَغَلَ مَعَ الرَّاعِي ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَاهِرًا فِي حَلْبِ الْبَقَرِ . فَقَصَلَهُ الرَّاعِي مِنْ خِدْمَتِهِ فِي نِهَايَةِ الْيَوْمِ ، وَأَعْطَاهُ كُوزًا مِنَ اللَّبَنِ أَجْرًا لِعَمَلِهِ . فَشَكَرَهُ ، وَأَخَذَ الْكُوزَ ، وَوَضَعَهُ فِي (جَيْبِهِ) كَمَا أَوْصَتْهُ أُمُّهُ ، وَجَرَى إِلَى